## مهمّة الرّاعي ومنهجيّته

## "انتبهوا لأنفسكم ولجميع الرعيّة"

بشَّرَ بولس الرسول مدناً كثيرة وأسّس فيها كنائس. ولكن أفسس حظيتْ به لأكبر فترة "مدّة ثلاث سنين". والآن وهو يتّجه عائداً إلى أورشليم يمرّ بالقرب من أفسس هذه، فيدعو كهنتها ويوصيهم أن يرعوا "كنيسة الله التي اقتناها بدمه الكريم".

لكي نعرف ما هي منهجيّة الرعاية علينا أن نحدّد مسبقاً ماذا نريد من الرعاية. إذن ما هي مهمّة الرّاعي ثم بأيّة منهجيّة تتحقّق. هنا في هذا الحدث من سفر أعمال الرسل يتعرّض بولس الرسول إلى ذلك.

مَن نحن؟ سؤال عليه إجابات عديدة، ولكنّه تعريف لا بدّ لنا بداية أن نتّفق عليه. من نظرة جغرافيّة، نحن متعدّدو الأصول، البعض من هنا والبعض من هناك، وكلّ منّا يحمل عاداته وحنينه وعلاقاته الخاصّة مع "مسقط رأسه"! من نظرة معيشيّة، نحن مختلفون، البعض يعمل في التجارة وآخر في التدريس وآخر في وظائف والبعض في مهن حرّة...الخ. من وجهة نظر فلسفيّة، نحن متعدّدون جداً، البعض يرى حقيقة الحياة في تجميع المال الكثير، آخرون في ارتقاء أعلى المواقع الاجتماعيّة، بعضٌ في تبوّأ صدر المراكز العلميّة، وعديدون يبغون التفرّغ للعمل السياسيّ، وهكذا دواليك...! من وجهة نظر طائفيّة مثلاً، ممّن نتكوّن نحن؟ البعض يرى أنّنا مجموعة الأرثوذكس (بالهويّة)، آخرون يقولون لا فرق بين الطوائف، بعض يرى أنّنا نحن جماعة "الممارسين" ومَن لا يمارس ليس بالواقع معنا ومنّا، وهكذا دواليك...!

نحن كنيسة المسيح ولا نعرِّف ذواتنا لا جغرافيّاً ولا طائفيّاً ولا فلسفيّاً؛ هذه كلّها تعاريف ليست إنجيليّة. هذه عوامل حقيقيّة، لكن لا تركّب الكنيسة؛ على العكس قد تعيق مرّات عديدة تكوين الكنيسة. هذه تهمّنا ولا تهمّنا. تهمّنا لأنّها من واقعنا، ولا تهمّنا من حيث أنّها ليست عوامل تكويننا

ككنيسة، وإنّما هي واقع تحت الإصلاح وذلك بإخضاعه لوجهة النظر الإنجيليّة، وهذه الأخيرة هي الوحيدة التي تبني الكنيسة وعلينا أن نوافق كلّ وجهات النظر معها، حينما وإذا ما تعارضتْ معها.

نحن كنيسة الله التي اقتناها (اشتراها) بدمه الكريم. تجمعنا كلمة الله، نطيعها فنتصوَّر على شكلها، أحببناها فجمعتنا وصرنا بها كنيسة. إذن السؤال الصعب هو: كيف، من كلّ هذه العوامل المذكورة سابقاً، نجمع كلّ الطاقات ونهذّب كلّ العلاقات لنصير منها وبالكلمة الإلهيّة كنيسة؟ هنا الإجابات أيضاً عديدة.

نظرة سريعة إلى هذه التعدّدية الرهيبة، في جغرافيّاتنا ونظراتنا الطائفيّة والدينيّة والفلسفيّة، قد ترمي في قلوبنا شيئاً من الخوف واليأس. ولكن كلاّ! نحن كنيسة، نحن أحببنا الكلمة الإلهيّة أكثر من الجغرافيا والطائفيّة والفلسفات والمصالح... وهذا الحبّ الذي فينا هو سلاح الروح وقوّة الرّاعي. دون هذه القوّة لا يستطيع أيٌّ راعٍ أن يجمع الرعيّة.

هذه هي مهمّة كلّ راعٍ، إنّها المهمّة التي جاء من أجلها "الرّاعي الأوّل الصالح" ربّنا يسوع المسيح، وهي: "أن يجمع المتفرّقين إلى واحد". مَن نحن؟ هل يخصّ هذا السؤال الماضي أم المستقبل؟ يخصّ الزمنَين، الماضي كواقع تحت التطوير والمستقبل كغاية، غاية لا نخترعها نحن! غاية كشفها الربّ يسوع ودعانا إليها، نضعها فوق كلّ اعتبارات ورثناها من الماضي ونسير إليها بإخلاص وعزم.

نحن جسد يسوع المسيح، نحن سفراء الله في هذا العالم، نحن إخوة ذاهبون إلى الملكوت، من هنا نحقّقه ليكتمل هناك ونكمل فيه. يا لها من مهمّة للرّاعي رهيبة وجليلة، لكلّ راعٍ، من الوالد والوالدة والأخ الأكبر والمرشد والكاهن والأسقف... كلّ منّا بموقعه. كلّنا متساوون في المسؤوليّة من حيث أنّه يجب علينا كان مَن كنّا أن نندفع بالعزم ذاته وبالغيرة ذاتها، ولكن هذا لا يلغي اختلاف حجم المسؤوليّات في الرّعاية. لهذا كلّما ازداد حجم الموقع في الرّعاية ازداد التشديد على أن يحمل الرّاعي هناك مواهب أكثر ودقّة أوضح، وأيضاً أن نتعاون معه فنحافظ على ما لديه من مواهب أوّلاً ونكمل له في موقعه ما ينقص، وهكذا يزيد "الروح" نتاج أعمال الجميع.

هذه هي منهجيّة بولس الرسول أمام كلّ هذا البرنامج الروحيّ لرعاية كنيسة المسيح التي اشتراها بدمه الكريم:

١. ليلاً نهاراً كان يعمل في الرّعاية: الرّاعي هو المحبّ، والمحبّ لا يتكاسل. لا تعيش المحبّة دون أتعاب، ولا تقرّ للرّاعي عين إلاّ حين تدمع. تدمع عين الرّاعي من الصبر على الأتعاب ومن الظلم، وكلّها عنده سيّان، كلّ الظروف الجيّدة والسيّئة هي من طبيعة العمل. الرّاعي لا يُظلم مهما "ظُلم"! لا يُظلم الرّاعي إلاّ من ذاته، حين تشعر بالظلم. لقد اختار أن يصير سفيراً ليسوع المسيح وحينها أسلم ذاته للصلب كسيّده. كلّ شيء صالح وكلّ شيء ضمن الخدمة وفي طبيعتها، الأمر الأهمّ ألاّ يخطئ الرّاعي إلى دمِ المسيح، ثمنِ الرعيّة. هذا هو الظلم الوحيد للرّاعي، ولا يأتي إلاّ من ذاته!

ما الليل وما النهار، منهما لا يستحقّ الرّاعي إلاّ حاجة الجسد للراحة، ليقوم من جديد للخدمة، "مَن يضعف ولا أضعف أنا، مَن يعثر وأنا لا ألتهب"! قلب لا ينام قلبُ الرّاعي. لهذا يقول بولس الرسول إنّه كان يعظ "بدموع".

٢. النّصح بالكلمة: سلاح الرّاعي ليست السلطة، وأين السلطة ما دامت قوّته الوحيدة هي تعاون الرعيّة ورغبتها أن تصير كنيسة. أبناءُ الرعيّة ليسوا موظّفين لدى الرّاعي، حاشى! للأسف في بعض الرعايا الشعور هو بالعكس، وهذا خطأ فظيع مهما تعدّدت أسبابه! لا تستعذب الرعيّةُ أكثر من الجغرافيا الطائفيّة والفلسفة إلاّ كلمة الله؛ بهذه يعمل الرّاعي، وبها أوّلاً. النّصح يتمّ على صعيدَين: الأوّل هو الصّعيد الفرديّ: لم أكففْ ليلاً ونهاراً أن أنصح "كلّ واحدٍ" بدموع. لهذا الرّاعي هو "أبٌ" لكلّ واحد، وهذا هو العنصر الأساس في تكوين العائلة. عائلتنا المسيحيّة ترتبط لأنّ لها أبٌ واحد (الله) وذلك عن طريق الأب الرّاعي. نحن لا نجتمع كالأحزاب على عقائد أو مبادئ، حاشى! نحن "نولد"، وذلك بزرع الكلمة. الكلمة الإلهيّة لا تجعلنا نجتمع حولها كعقيدة ونصير حزباً. الكلمة الإلهيّة تلدنا أولاداً لرعاتنا وتصيّرنا جميعاً ومعاً أولاد الله. الكلمة الإلهيّة ليست "عقيدة أو مبدأ" وإن كانت تخاطب العقل، الكلمة زرعٌ يمسّ القلب. أوّل علامة من علامات الفهم في الكنيسة ليس "الفهم"، إنّما التخشّع! لهذا أولى ثمار النصح ليس الاقتناع وحسب، الاقتناع مرحلة، لكن الثمر هو "التوبة" والولادة بالروح. هكذا يلخّص بولس الرسول كرازته بالكلمة: "يا أولادي الذين أتمخّض بكم أيضاً (ما زلتُ) إلى أن يتصوّر المسيح فيكم" (غلاطية ٤، ١٩).

٣. البذل واللاطمع: يختم بولس الرسول نصائحه بخاتم البذل، فهو لا يطمع بالرعيّة ولا بشيء ماديّ منها، البتّة! بل يطمع بأن يتصوَّر المسيحُ فيهم. وأيّ راعٍ يحوّل عينه عن هذا الهدف يصير أجيراً ولا تسمع الخراف صوته لأنّها تعرف صوت الرّاعي وتأنف نداءات الأجير. "العطاء مغبوط أكثر من الأخذ" كثيرون يعطون "ممّا لهم"، لكن طوبى لمن يعطي "كلّ ماله- ذاته"، وهو الرّاعي، وليس حبّ أعظم من هذا!

٤.	أخيراً! آخر منهجيّة هي "سرّ"! هل كلّ المنهجيّات السابقة سهلة؟ أن يتعب الرّاعي ليل نهار وأن ينصح، كلاًّ بمفرده وجماعيّاً أيضاً، بالكلمة حتّى تغلب فيهم حبَّهم لكلّ الدوافع التي تجعلهم متفرّقين؟ وكلّ ذلك بروح الفقر وحتّى العوز أيضاً وبفرح؟ لا ليس سهلاً! ما يجعل كلّ ذلك ممكناً ليس قوّةَ الرّاعي الفكريّة ولا العضليّة، إنّما ركبتاه، حين يركع ويصلّي!

"ولما قال هذا جثا على ركبتَيه مع جميعهم وصلّى". الرّاعي ليس الله، حاشى! الرّاعي هو سفيره. لذلك يتّصل به دائماً في الضّيق والفرح وقبلهما وبعدهما، بالصّلاة.

أنريد أن نصير كنيسة؟ تعالوا لنرعى معاً كنيسة الله التي اشتراها بدمه الكريم. فلنعمل معاً تحت نور الإنجيل ولنأخذ رعاتنا آباءً لنا ونجعل حبّنا والتفافنا حولهم يمكّنُهم أن يموتوا تفانياً لأجلنا. بهذا الفرح يجتمع المتفرّقون إلى واحد، وعندما تغلبنا الصعاب، فلنركعْ ونصلِّ معاً، آمين.